جامعة المنصورة

كليــة الآداب

# التعريف بالآداب عند طه حسين

*إعـــداد*

**عماد محمد محمد ابراهيم**

باحث لدرجة الدكتوراه بقسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة المنصورة

*إشـــراف*

**دكتور / حلمـــى بـــديـــــر**

أستاذ الأدب الحديث والمقارن المساعد المتفرغ

كلية الآداب جامعة المنصورة

**مجـلة كلـــية الآداب – جامعـــة المنصـــورة**

**العدد الحادى و الخمسون – أغسطس ٢٠١٢**

# التعريف بالآداب عند طه حسين

**عماد محمد محمد**

لم يقف جهد **طه حسين** على الترجمة والتلخيص للأعمال الأدبية التى استطاع أن يصل إليها . ولكنه كان لا يترك كتابا يُطلع عليه أو لقاء ثقافي أو حادثة ثقافية إلا اهتم بها. فعرَّف بما يصدر من كتب وكتَّاب وشخصيات وحوادث ، خاصة الثقافية منها . وكان يصبغ عليها من طريقته فى الكتابة ما يعين القارئ على الاستزادة فى المجال الذي وجه إلية . فقد اهتم بكتَّاب العصر من الأوربيين والأمريكيين. وكان أكثر اهتمامه خاصة بالكتاب الفرنسيين . فيتحدث عن المؤلفين فى مقالات خاصة. وعن مؤلفاتهم والقضايا العصرية التى ناقشوها فيما عرض من مؤلفاتهم . وهذا الاطلاع ونقل هذه الثقافة والتعريف بها ليس بالأمر الهين ، وإنما يحتاج لكثير من الجهد والبحث والاطلاع ثم تخير أولويات الإفادة تبعا للحاجة والظروف . و تبعا لما يصلح و مالا يصلح وما يناسب وما لا يناسب . يقول **حلمى بدير**: " قد تبدو المهمة يسيرة فى هذا المجال .. وهل هناك أيسر من قراءة عمل ما ثم عرضه بطريقة ما ..على قارئ ما.. وهو تصور ساذج لا تكمن وراءه إلا ثقافة أكثر سذاجة .. فاختيار عمل ما لقراءته ثم عرضه على قارئ. . أمر يكاد يكون من أشق ما يتعرض له كاتب على درجة واعية بالثقافة العالمية .. على قدر من الإدراك لخطر هذه المهمة . فالاختيار ينبع من تصور لا للأجدى فى أدبه ، ولكن للأجدى لقارئه فى لغة أخرى

.. وهذه وحدها لا يستطيعها أكثر المثقفين وعيا بحركات المتغير العالمي المحلى .." [١]

وقد استفاد القارئ العربي من هذا الطواف فى أرجاء الثقافة العالمية . فتعرف على شخصيات أثرت فى الثقافة العالمية مثل فولتير وموليير و شكسبير وألبيركامى .وجوتة و تولستوى وجورج دى هامل وغيرهم كثير وفلاسفة مثل أفلاطون وسقراط و أرسطو .وأوغست كونت . وسياسيين مثل الإسكندر و قيصر، وغيرهم كثير ممن أطلعنا عليهم من خلال التعريف بهم وبأهم أعمالهم وآثارهم فى مجال العلم والثقافة وبما أسدوا للبشرية من خدمات .

" وتبدو شخصية **طه حسين** من توجهاته نحو أكثر من كاتب عربي ، وفرنسي علي الأخص مبينا إعجابه به..وقد وجدناه يصرح بوضوح."[٢] " قلت إني عرفت **بول ڤاليري paul valéry** من بعيد حين فاجأ مجده الناس في أعقاب الحرب الماضية ، وظلت معرفتي له تتقدم شيئا فشيئا حتى أصبح أحب المعاصرين من أدباء فرنسا إلي و آثرهم عندي ، و حتى أصبح الوقت الذي أنفقه مع كتبه ودواوينه

حين يسمح لي العمل بالفراغ لنفسي وإمتاعها باللذة الفنية العليا أعز الأوقات إلي وأكرمها علي ، وحتى اتخذت لنفسي منه صورة غريبة رائعة فيها كثير جداً من التواضع وكثير جداً من الكبرياء . وفيها كثير جداً من السماحة وكثير جداُ من الامتياز. "[٣]

---

[١] حلمى بدير "مؤثرات وافدة فى نقد الأدب عند طه حسين " دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٨٥، ط ١ ، ص١٣

[٢] حلمى بدير "مؤثرات وافدة فى نقد الأدب عند طه حسين " ، ص ٢٥

[٣] طه حسين " ألوان " طبعة دار المعارف ، ط٥ ، ص ٦٢

" ولقد قدم **طه حسين** محاولات جادة كثيرة في مجال التعريف بالآداب الغربية، من منطلق الإحساس العظيم بقيمة التواصل بين الآداب ، والاستفادة من تجارب الأمم الأخرى .. فنجده علي سبيل المثال – فضلا عن تلخيصه لأهم القصص الفرنسية أو غيرها في نظره – يقوم بالتعريف ببعض الكتب كمقارنة بين " قصتي": " إرتجال فرسايل **L'impromptu de Varisaille** " **لموليير Moliere** و" إرتجال باريس **L'impromptu de paris** " **لجيرودو Giraudoux**. الأولي أُلفت ١٦٦٤، والثانية ١٩٣٧ ."[١]

ففى قادة الفكر يعرفنا **طه حسين** بالآداب اليونانية القديمة وأهم أعلامها . كما يعرفنا بالفلسفة اليونانية وأهم أقطابها ودورها فى قيادة البشرية فى مرحلة معينة .ثم يطلعنا السياسة اليونانية القديمة وطرق الحكم وأهم الحكام ودورهم فى قيادة الفكر فى هذه الفترة من فترات التاريخ .

يقول فى مقدمته " سأجتهد ما استطعت فى أن أبين فيها شخصية الفلاسفة والمفكرين الذين سأعرض لهم ولكن على أن تكون هذه الشخصية متصلة بالبيئة التى نشأت فيها متأثرة بها ومؤثرة فيها "[٢]

ينقلنا **طه حسين** من الشعر فيذكر **هوميروس** إلي مرحلة أخري من مراحل فلسفة تاريخ العقل البشري فيذكر **سقراط و أفلاطون و أرسطو** إلي قيادة الفكر عن طريق السياسة ويبدأ **بالإسكندر الأكبر** لأنه لم يكن فقط قائد جيش ، وإنما قائد فكر قبل كل شئ . وبعد كل شئ لم يفهمه معاصروه ولم يفهمه خلفاؤه ...فهو لم يرد غزو الأرض وتحقيق فتوحاته العسكرية ، ولكنه كان يبغي مثل الفلسفة لتوجيه العقل

[١] حلمى بدير "مؤثرات وافدة فى نقد الأدب عند طه حسين " ، ص١٨

[٢] ( المجموعة الكاملة " **قادة الفكر**" ) مج ٨ ، ص١٩٢

الإنساني . ومن **الإسكندر** إلي **يوليوس قيصر** فإن كان الإسكندر صاحب فكرة إذاعة الفلسفة في أقطار الأرض وبثها في مختلف الشعوب فإن قيصر هو الذي نفذ ذلك .

ويبدأ بالحديث عن **هوميروس** قائلا : " ولقد أريد أن أحدثك اليوم عن شخص من هؤلاء الأشخاص أو عن طائفة من هؤلاء الأشخاص كان لهم أعظم أثر فى تكوين أمة بأسرها وفى تصوير النظم السياسية والاجتماعية والدينية التى خضعت لها هذه الأمة عصوراً طوالا وفى تهيئتها للرقى والتطور اللذَين جعلاها مصدر الحياة العقلية التى لا تزال الإنسانية متأثرة بها إلى اليوم وإلى غد وإلى أخر الدهر."[١]

وبعد أن يتكلم عن **هوميروس** وهل كان هناك من يماثله فى عصره؟ وهل هو صاحب الإلياذة ؟ أم أن هناك من أعان على كتابتها ولم يشتهر غيره فنسبت إليه ؟ وما " الإلياذة " ؟ وما " الأودسا" ؟ وما موضوعاتهما؟ ومن أبطالهما ؟. ولا يجيب عن هذه الأسئلة . بل يشوق القارئ إلى البحث عنها وقراءتها للتعرف على الجمال الفني الذي لا سبيل إليه إلا بقراءتهما .لذلك يختم طه حسين كلامه موجها إلى قراءة الإلياذة و الأودسا " فيقول : " أكتب مصيباً إذاً حين زعمت أن شعراء " الإلياذة " و " الأودسا " يعدون بحق من قادة الفكر الإنساني ولكنك ستسألني : ما " الإلياذة" وما " الأودسا " ؟ ولست أجيبك عن هذا السؤال وإنما أريد أن تجيب نفسك عليه أريد أن تقرأ " الإلياذة " و" الأودسا " لتعرف ما هما وكل ما أطمح إليه فى هذه الفصول هو أن أشوقك إلى أن تقرأ شيئا قليلاً أو كثيراً من آثار المفكرين الذين اتخذهم موضوعا لهذه الأحاديث . "[٢]

---

[١] السابق ، ص ١٩٢

[٢] (المجموعة الكاملة " **قادة الفكر**" ) مج ٨، ، ص ١٩٧

وفى حديثه عن سقراط يقول " أريد فى هذا الفصل أن أبين لك فى شئ من الإيجاز الشديد الذى أنا مضطر إليه اضطرارا كيف انتقلت قيادة الفكر من الشعراء إلى طائفة من الفلاسفة وكيف استطاع هؤلاء الفلاسفة أن يقودوا الفكر ويديروه ؟ وماذا اتخذ هؤلاء الفلاسفة من طريق لقيادة الفكر وتدبيره ."[1]

ويعقد مقارنة بين الشرق والغرب . فيذكر العلاقة بين اليونان والشرق المتحضر ، عندما كانت الأمة اليونانية ساذجة جاهلة من النظم السياسية والاجتماعية الراقية . كان الشرق قد انتهى إلى درجات من الحضارة مختلفة. أخذوا عنهم مثلا: نظام النقد ، والمقاييس، و الموسيقى و الحساب والهندسة ولكنهم لم يأخذوا عنهم شيئا عقليا يذكر ... ومن ناحية أخرى نجد عند اليونان المذاهب الفلسفية المختلفة التى حاولت منذ القرن السادس قبل المسيح فهم الكون وتفسيره وتعليله ... بينما نجد العقل اليوناني يسلك فى فهم الطبيعة وتفسيرها نجد العقل الشرقى يذهب مذهبا دينيا فى فهم الطبيعة وتفسيرها وامتاز بالأنبياء كما امتاز العالم اليوناني الغربي بالفلاسفة . كما نجد عند اليونان النظم السياسية المختلفة فى المدن اليونانية من ملكية وجمهورية وأرستقراطية وديمقراطية معتدلة أو متطرفة " بينما كان الشرق خاضعا لنظام سياسي واحد وهو نظام الملكية المطلقة المستبدة. [2]

ثم يبدأ بعدها فى الحديث عن **سقراط** ثم عن **أفلاطون** ثم عن **أرسطو**. ثم ينتقل إلى الجانب السياسي فيتحدث عن **الإسكندر المقدوني** :فيقول: " كانت قيادة الفكر إلى الشعراء أول عهدهم القديم من الوجهة الاجتماعية والسياسية والعقلية فانتقلت قيادة الفكر من الشعر إلى الفلسفة أو أصبح قادة الفكر فلاسفة ومفكرين بعد أن كانوا أصحاب شعر وخيال .... ثم ظهر أنها عاجزة عن قيادة الفكر كما ظهر عجز الشعر عن قيادة الفكر ... فانتقلت قيادة الفكر من الفلسفة إلى السياسة وكان الإسكندر هو

[1] السابق ، ص ١٩٩

[2] ( المجموعة الكاملة " **قادة الفكر**" ) مج ٨، ص ٢٠٧

الذي نقلها أو قل هو الذي انتزعها من الفلسفة واقرها للسياسة ... وقد ورث ملك الفراعنة والبابليين والآشوريين والفرس وسلطان اليونان والفينيقيين وضم هذا كله إلى ملك مقدونيا الذي ورثه عن أبيه...فعل هذا كله فى عشر سنين أو أقل من عشر سنين !. "[١]

و عن غاية الفلسفة والفلاسفة ووسائلها فى تحقيق غايتها بالدعوة والنشر يقول : " عد إلى الفلسفة تجدها كانت تطمح قبل كل شيء وبدون أن تشعر بها إلى توحيد الحضارة وترقيتها إلى توحيد العقل الإنساني وأخذه بنظام واحد فى التصور والتفكير والحكم فكيف تتصور انتشار فلاسفة اليونان فى البلاد الشرقية

وإذاعة فلسفتهم فى هذه البلاد إذا لم يمهد لذلك بإزالة الفروق السياسية والاجتماعية بين اليونان وغيرهم من الشعوب . فهم **الإسكندر** هذا وجدَّ فيه فوفق إليه ."[٢]

ويختم " **الإسكندر** إذا قائد من قادة الفكر بل هو زعيم من زعماء قادة الفكر بل هو أشد قادة الفكر القدماء إنتاجا وأكثرهم نفعا. فما قيمة الفلسفة اليونانية كلها لو لم يتح لها الإسكندر لينشرها فى أقطار الأرض ويبثها فى مختلف الشعوب . " [٣]

ثم يعرض **لـيوليوس قيصر** فيقول : " ليس من اليسير أن يذكر **الإسكندر** دون أن **يـذكر قيصـر** فقد كان التشابه بينهما عظيما على ما بينهما من اختلاف الجنس وعلى ما بين عصريهما من تباين .. كان التشابه بينهما عظيما إلى حد أن ثانيهما مكمل لأولهما تكميلاً شعر به القدماء أنفسهم فشبهوا **قيصر بالإسكندر**.... وكان خطه

[١] السابق ، ص ٢٦٢ : ٢٦٥

[٢] ( المجموعة الكاملة " **قادة الفكر**" ) ، ص ٢٦٦

[٣] السابق ، ص ٢٦٨

خيرا من خط **الإسكندر** فقد استطاع أن ينظم هذه الوحدة السياسية التى فشل **الإسكندر** فى تنظيمها ، كان **الإسكندر** إذاً صاحب الفكرة وكان **قيصر** منفذها ." [1]

وهكذا يختم **طه حسين** كتابه فيقر أن قيادة الفكر مرت بعدة أطوار مرحلة القصص الساذج إلى الشعر إلى الفلسفة إلى السياسة العاقلة. فعرف القارئ والمثقف بالأدب وأعلامه ، والفلسفة وأقطابها ، والسياسة وقوادها ، والحياة الأدبية والاجتماعية والفلسفية والسياسية بوجه عام عند اليونان .

ويطالعنا **طه حسين** فى كتاب " من بعيد " ببعض الموضوعات التى كتبها أثناء تواجده في فرنسا . وكان يكتب عن كل ما يجده مفيدا فى نقل القارئ العربي إلى الحدث العالمي . فمثلا ماتت فرنسية تسمى "**سارة برنار**" و شغلت الشارع الفرنسي شغلا عظيما . فما يُري الناس إلا وهم يتحدثون بموتها. يقول : " تركت القاهرة يوم الأربعاء و وصلت إلي باريس يوم الثلاثاء فإذا الناس يتحدثون بموت **سارة برنار** ، أو لا يتحدثون إلا بموت **سارة برنار** . وإذا كثير منهم لا يكتفي بالحزن الصامت أو الإعجاب المقتصد . بل يتحدث ويشرح ويفصل ، ويروى ما سمع وما رأى . ويصف ما أحس وما شعر به حين شهد **سارة برنار** وهى تمثل فيه "غادة الكاميليا " أو في غيرها من القصص." [2]

ثم يتحدث عنها وعن أعمالها و آثارها في المسرح الفرنسي ، بل و الأوروبي بل و العالمي يقول : " لم أسمع **سارة برنار** . ولم يتح لي علي طول ما أقمت في باريس أن أحضرها في ملاعب التمثيل . فلست أستطيع أن أحدثك برأيي فيها ، ولست أستطيع أن أُكوِّنَ لي فيها رأيا. ولكني أستطيع أن أحدثك برأي الناس فيها و برأي

[1] نفسه ، ص ٢٧٠– ٢٧٥

[2] ( المجموعة الكاملة " من بعيد" ) مج ١٢ ، ص٢٣

الناس الذين لا يهتمون . ولا تستطيع أنت ولا أنا أن نضع آراءهم وأحكامهم موضع الشك الأول. ولكن من **سارة برنار؟**." [١]

ثم يبدأ فى الحديث عن نشأتها وأصلها ومكانتها ورحلاتها إلى لندره والسويد والنرويج وأمريكا . ويذكر افتتان الناس بها من الجمهور ومن أهل الفن فيقول : " فقد حدثنا **جون ليمتر** بأنها أحدثت فى التمثيل ما لم يحدثه أحد قبلها ." [٢]

فالأحداث العامة أيضا كانت من الأمور التى يتخذ **طه حسين** منها فرصة ليطلع القارئ علي ما يجرى حوله من الأحداث . ربما تدفع أحد الباحثين إلى ترجمة عمل ما من هنا أو من هناك مما يتعلق بالحدث الذى أطلعنا عليه . فيفيد به العلم والثقافة . فإن لم يفعل فعلى الأقل أن يكون مطلعا على ما حوله من أحداث.

**وتحت عنوان " قصتان "** يشير **طه حسين** إلى قصة **موليير** وقصة **جيرودو** فقد أراد الكاتب المعاصر **جيرودو Giraudoux** أن يقلد الكاتب والشاعر العظيم **موليير Moliere** وأن يجدد قصته كما صنع بقصص يونانية قديمة فجددها وأحيا أبطالها القدماء ، وأحيا ما كان يلم بها من أحداث . عنوان القصتين واحد : في قصة **موليير** هي " ارتجال فرسايل " وقصة **جيرودو** هي " ارتجال باريس " .

وقد خطر **لموليير** أن يهيئ فرقته للإعادة في وقت قصير جدا قبل مقدم الملك لشهود التمثيل وجعل أعضاء الفرقة يتعللون عليه لأنهم لا يستطيعون التمثيل على غير تأهب ولا استظهار وجعل هو ييسر الأمر عليهم تيسيرا . ويشتد عليهم ويعنف بهم ويرشدهم إلى ما ينبغي أن يقولوا و ما ينبغي أن يفعلوا . ويتعجلهم في ذلك وهم يستجيبون له أحيانا ويمتنعون عليه أحيانا...وبينما **موليير** يحاور أعضاء فرقته ويداورهم ، و إذا قادم عليه ينبئه بأن مقدم الملك قريب فيضطرب ، ويستمهل ولكن

---

[١] السابق ، ص٢٤

[٢] نفسه ، ص٢٦

الملك لا يمهل ، فهذا رسول الملك يلح . وهذا **موليير** يستمهل . ثم ينتهي الأمر أن يُقبل عذر الفرقة فيمهلها ويعفيها من هذا التمثيل الذي لا يمكن أن يرتجل ارتجالا .[1]

وأما **جيرودو** فقد سلك هذه الطريقة نفسها في القرن العشرين وقد كان ظريفا أن يرى النظارة في ديسمبر ١٩٣٧ أعضاء فرقة التمثيل في ملعب " اللاتينيه " بباريس يتحدثون بأسمائهم و أشخاصهم لا يمثلون أشخاصاً غيرهم ، و لا يتحدثون في غير شئونهم الخاصة التي تمس فنهم الذي يعيشون به ويعيشون له .. وهؤلاء الممثلون الذي كانوا يضطربون أمام النظارة و يتحاورون لم يكونوا أنفسهم إن صح التعبير. و إنما كانوا أشخاصاً يمثلون أنفسهم تمثيلاً ويمثلون أنفسهم كما أراد الكاتب أن يمثلوها لا كما أرادوا هم أن يمثلوها .. وإنما كان حواراً صنعه لهم الكاتب .. و أخذ الممثلون حين رفع الستار يتعللون بما كان يتعلل به أصحاب **موليير** من أنهم لم يستعدوا . فهذه أدوات تطلب هنا وهناك وهذه ممثلة مريضة يريد رئيس الفرقة أن يُطب حلقها فيمسه ببعض الدواء قبل أن تبدأ بالتمثيل . و هؤلاء الممثلون يداعب بعضهم بعضاً و يتندر بعضهم على بعض بأحاديث وفكاهات مشتقة من حياتهم وصلاتهم الخاصة .وبينما هم في ذلك إذا قادم يقبل عليهم فيتنكرون له و يتبرمون منه .. ويريدون أن يردوه عن ملعبهم لأنهم يعيدون و لا ينبغي أن يشهد الإعادة أجنبي . و لكنه يلح و يفرض نفسه عليهم فرضاً .. و هو عضو من أعضاء مجلس النواب الفرنسي ، و من أعضاء اللجنة المالية في هذا المجلس . قد أقبل يحمل إليهم مالاً أو يحمل إليهم الأمل في المال . إذ ظهر للجنة المالية أن دخل الدولة قد أربى على خرجها بمقدار لا بأس به من الملايين ؛ فرأى أن تهدي هذا المال إلى الفرقة التمثيلية . و هكذا تمضي القصة و كأنها ارتجال و هي غير ذلك ..[2]

---

[1] ( المجموعة الكاملة " فصول فى الأدب والنقد " ) مج ٥ ، ص ٤٦٨

[2] ( المجموعة الكاملة " فصول فى الأدب والنقد " ) مج ٥ ، ص ٤٧٠

فقد عرفنا فى هذه العجالة تحت عنوان " قصتان" ومن منطلق الإحساس العظيم بقيمة التواصل بين الآداب ، والاستفادة من تجارب الأمم الأخرى .على عملين أحدثهما إعادة للآخر بما يتناسب مع لغة عصره وواقعه . وقد أعاده **جيرودو** تقريبا بنفس الاسم " إرتجال " وبنفس المضمون . مع ملاحظة ما يفصل بينهما من الزمن . وهو ما يذكرنا بإعادة إحياء الأساطير اليونانية فى الشرق والغرب .وقد تعرفنا من خلال هذا الموضوع على شخصية كل من الكاتبين وعلى عنوان كلا العملين . وعلى الموضوع المشترك الذى جمع بينهما . وهذه ميزة يستفيدها القارئ العربي وإضافة لرصيده الأدبي والثقافي . وهو موقف يتعامل مع النتاج الإنساني ،ويرى فيه خير تواصل .

أما **يوميات أندريه جيد** فهي قراءة في كتاب له اسمه " يوميات **أندريه جيد** " وهذه اليوميات صورة مطابقة للأصل كما يقال أشد المطابقة ترتسم فيها شخصية **أندريه جيد** كأوضح ما يمكن أن تكون فى التعريف بكاتب فرنسا الكبير **أندريه جيد André Gide** من خلال مذكراته التي تحكي حياته وهي طويلة تقع في أكثر من ١٣٠٠ صفحة .. و تصور من حياة صاحبها قرابة نصف قرن من الزمان تقريبا فقد بدأها سنة ١٨٨٩ ، حين كان في العشرينات من عمره و وقف منها عند أول سنة ١٩٣٩ م حين أبحر من مارسيليا قاصدا إلى مصر .. وقد عود الناس فيما كان يذيع فيهم من الكتب صراحة لم يألفوها وصدقا لم يعرفوه ، وتمردا لا عهد لهم به . من أجل ذلك أنكره الناس إنكارا شديدا. عابوه بالحق وبالباطل وحملوا عليه أشياء لا يد له فيها . [١]

ولا شك أن معرفة **طه حسين** الشخصية **بأندريه جيد** والتي ظهرت فى الرسائل التى كانت متبادلة بينهما و اللقاءات التى كانت تتم فى مصر وفى فرنسا وترجمته لكتابه " من أبطال الأساطير اليونانية " وتصديره للترجمة بالإهداء لشخصه . وما كان

[١] ( المجموعة الكاملة " فصول فى الأدب والنقد " )، ص ٤٧٥ : ٤٧٧

له من مكانة عنده . كل ذلك جعله حريصا بحكم هذه العلاقة على معرفة بعض الأمور لا يطلع عليها من لم يكن له هذه العلاقة أن يُعرِّف القارئ العربي بمكانة **أندريه جيد** فى الأدب الفرنسي ورأى النقاد الفرنسيين فى أدبه . هذا بالإضافة إلى اطلاعه على هذه المذكرات التى ربما أظهرت أشياء كانت قد خفيت عليه فى مراحل عمره السابقة على صداقتهما.

ويطالعنا فى مقال بعنوان " ساعة " فيقول : " ساعة قضيتها أمس مع جماعة من المثقفين الممتازين فى هذا البلد ، ذادت عني النوم حتى تقدم الليل ، ودفعتني إلى مذاهب من التفكير والتروية ، لا أريد أن أصورها فى هذا الحديث لأنها مختلفة شديدة الاختلاف ، متناقضة شديدة التناقض، ولأن تصويرها يحتاج إلى عهد لا يحتمله حديث قصير تنشره مجلة أسبوعية لا تكاد تنشر حتى تطوى ، ولا يكاد يقرأ ما فيها حتى ينسي "[1]

أما أثر هذه الساعة فكان تعريفه بثلاثة كتب لثلاثة أدباء يقول : " ولكن هذه الساعة ذكرتني فيما ذكرتني كتباً ثلاثة قرأتها في هذين العامين الأخيرين وأكبر الظن أن هذه الساعة ستضطرني إلي أن أعيد قراءة هذه الكتب ، لأن فيها تسلية وتعزيه ولأنها تقوي النفوس و تعصمها من الخور العقلي الذي تتعرض له في هذه الأيام ." [2]

فيعرض فيها **طه حسين** لمجموعة من الكتب ، هي :

١- " خيانة المثقفين للكاتب " الفرنسي الفيلسوف **جوليان بندا Banda** .

٢- " الدفاع عن الأدب ": للأديب الفرنسي العظيم **جورج دى هامل G . Duhamel**

٣- " نحن الفرنسيين " : للكاتب الفرنسي المشهور **جورج برنانوس G . Bernanos**

---

[1] ( المجموعة الكاملة " فصول فى الأدب والنقد " ) مج ٥ ، ص ٥٠٤

[2] السابق ، ص ٥٠٥

**يشن جوليا باندا** فى كتابه "خيانة المثقفين " حملة عنيفة على الكتاب الذين يداهنون فى حق بلادهم ومواطنيهم لأغراض يراها لا تليق بمكانتهم . ويدلل على خيانتهم فيتساءل : أليس من المثقفين الممتازين من داهن في السياسة وصانع في الاقتصاد وشارك في الظلم الاجتماعي ؟ أليس بينهم من غرتهم المنافع العاجلة وأغرتهم المصالح القريبة فصانعوا ولم يكن من حقهم أن يصانعوا ؟ وسكتوا وكان الحق عليهم أن يتكلموا . هذا هو الموضوع الذي عالجه باندا في كتابه خيانة المثقفين [١] .

وذكر أنه فهم من دراسة فلسفة **أرسطوطاليس** أموراً منها أن الإنسان مدني بطبعه، فهو محتاج إلى الناس والناس محتاجون إليه وهو متضامن معهم والناس متضامنون معه . و إذا لا سبيل إلى أن يقطع الرجل المثقف الممتاز ما بينه وبين الناس من صلة وإنما هو مضطر أن يعيش معهم وأن يشاركهم في ما يلم بهم من خير أو شر. [٢]

أما فى كتاب " الدفاع عن الأدب " للأديب **جورج دي هامل** الذى يريد فيه الدفاع عن الأدب الرفيع الذي لا ينتج في سرعة ولا يُساغ في سرعة ، وإنما هو محتاج للأناة والمهل لينتج ويُساغ . ويرى أن هناك أزمة خطيرة يتعرض لها الكتاب الجيد المتقن الذي يصور الثقافة العالية الممتازة ، والذي يحتاج صاحبه أن يبذل فيه الجهد العنيف والوقت الطويل والتفكير العميق . وإذاً فلن يقبل الناشرون الطامعون على هذه الكتب الممتازة في أنفسها ؛لأنها تضمن خسارة لاسيما في وقت تعرض فيه الصحف الموضوعات في سهولة ويسر ووقت أقل. ويغطيه الراديو والتلفزيون والسينما . فمتى سيتجه الناس إلى الكتاب وإلى الأدب الذي يصيغ كل فرد حسب قراءته؟ أما الراديو وغيره إذا ما خلد الناس إليه ضعفت عقولهم وقلوبهم وملكاتهم وضعفت

[١] ( المجموعة الكاملة " فصول فى الأدب والنقد " ) ، ص٥٠٨

[٢] السابق ، ص ٥٠٥

شخصياتهم وأصبح بعضهم مشبها لبعض ، وقد صيغوا على صورة واحدة هي التي يصوغهم عليها الراديو أو السينما أو الصحف . [1]

أما **جورج برنانوس** فى " نحن الفرنسيين " فيصور ما يملأ نفس الكاتب من السخط العنيف على ثلاثة أشياء :

١- موقف فرنسا من مؤتمر ميونخ لسنة ٣٦ لأنه لا يلائم إلا أهواء الساسة من أصحاب النفوس الضعيفة والنظر القصير.

٢- حزب الملكيين الفرنسيين. فهو ملكي متطرف في حب الملك وبغض الجمهورية .

٣- الكنيسة الكاثوليكية ، لأنه متدين إلى أقصى غايات التدين . مؤمن كأقوى ما يكون الإيمان . ولكنه يريد من الكنيسة الكاثوليكية أن تكون صادقة مخلصة للدين ، لا تصانع في ذلك ولا تُداجي . وهو يراها صانعت المنتصرين في أسبانيا ، فشاركت فيما اصطنعوا من عنف وغمست يدها فيما سفكوا من دم بريء .

والكاتب ينكر ما يريد في حرية مطلقة وصراحة لا حد لها ولا يعنيه إن سخطت الكنيسة أو الملكيون أو الساسة وإنما يعنيه شيء واحد : أن يفكر حراً وأن يعلن رأيه حراً وأن يحتمل بعد ذلك تبعات هذا الرأي مهما تكن . ويلقي الفرنسيون هذا الكتاب أحسن لقاء لأنه حر أولاً ، ولأنه يهاجم في عنف ما يكره الناس مهاجمته ، ولأنه يثير الغيظ والحنق في قلوب كثير من الناس. [2]ولعل ما عرفنا فى هذه المقالة من أسماء لكتاب من أعلام الأدب والفكر الفرنسي وما كان لهم من مؤلفات ذات موضوعات

---

[1] نفسه ، ص ٥١٠

[2] ( المجموعة الكاملة " فصول فى الأدب والنقد " ) مج ٥ ، ص ٥١١ ، ٥١٢

تتناول بالنقد أمورا ثقافية وسياسية فى المجتمع الفرنسي تعد إضافة ذات قيمة إلى ثقافة القارئ العربي .

يقول **حلمى بدير** معلقا : " ولعل مقاله " ساعة " الذي ضمنه كتابه " فصول فى الأدب والنقد " يصور إلى حد واف ، أثر الثقافة الفرنسية بخاصة . والغربية بعامة علي فكر العميد .[١]

ولم يقف الأمر عند الكتب التى كتبها فرنسيون بل لقد أطلع القارئ العربي أيضا على مجموعة من الكتب التى كتبت باللغة الفرنسية لمؤلفين مصريين . ومن العجيب أن هذه الكتب طبعت فى فرنسا لكتاب مصريين ، وفى موضوعات مصرية ولا نعلم عنها شيئا إلا بعد أن يطلعنا عليها العميد بعد اطلاعه عليها فى فرنسا . ومن الأمور المشتركة بين هذه الكتب التى عرض لها أن جميعها لسيدات . وأول هذه الكتب " حريم " للسيدة **قوت القلوب الدمرداشية** يقول **طه حسين** : " وقد كتب باللغة الفرنسية ونشر في باريس و وصل إلي مصر من باريس . وعرفناه من المقدمة التي قدمَّ بها بين يديه الكاتب الفرنسي المعروف **بول موران** . ثم أخذ الأدباء الفرنسيون يقرظونه هنا وهناك . فكتب عنه في مصر أستاذ من أساتذة الجامعة، وأثني عليه في باريس غير كاتب من الكتاب المعروفين . ولم يقرأه مع ذلك من المصريين ولا ينتظر أن يقرأه منهم إلا الذين يحسنون اللغة الفرنسية ويذوقونها ، ويجيدون الوصول إلي أسرارها ودقائقها ، وهم فيما أعلم قليلون . " [٢]

فقد عرَّف **طه حسين** بكتاب مصري بلغة فرنسية ربما لا يطلع عليه إلا من يستطيع أن يقرأه إلا الذين يحسنون اللغة الفرنسية ويذوقونها ، ويجيدون الوصول إلي أسرارها ودقائقها.ويطلب من المثقفين تقدير هذه الظاهرة التى تسر وتحزن "...ليقدر

[١] حلمى بدير "مؤثرات وافدة فى نقد الأدب عند طه حسين " ، ص١٩

[٢] ( المجموعة الكاملة " فصول فى الأدب والنقد " ) ،ص٣٩٤

المصريون هذه الظاهرة الخطيرة التي تسر وتحزن وتلذ وتؤلم ،..تسر لأن فيها إذاعة للدعوة المصرية وتعريفاً بمصر وبالمصريين .ولأن من الخير أن يقدر الكتاب والشعراء المصريون خارج مصر في البيئات الأدبية العليا . وتحزن لأن من الحق أن يستمتع بها المصريون قبل أن يستمتع بها الأجانب ، وأن تعرفه اللغات الأجنبية بالنقل والترجمة عن اللغة العربية ، لا أن يعرفه المصريون وتظفر به اللغة العربية عن طريق النقل والترجمة . " [1]

أما كتاب الآنسة **جان أرقش** وعنوانه " مصر في مرآتي " فهو كتاب آخر عن مصر قد كتب في اللغة الفرنسية كذلك الكتاب الذي حدثتك عنه منذ أسابيع والذي أذاعه القاضي الفرنسي **شارل بوش باريرا** . ويصف **طه حسين** مؤلفة الكتاب فيقول : " وهى في تصريف هذه اللغة بارعة كل البراعة ، موفقة كل التوفيق . تقرأ كتابها من أوله إلي آخره فلا يخطر لك أن الذي كتبه أجنبي أو الذي كتبته أجنبية عن هذه اللغة. ولا يعرض لك الشك في أن الكتاب فرنسي اللغة لأنه فرنسي المؤلف . وبعد مدحه الكتاب يتحدث عن سيرة صاحبته : " نشأت في الإسكندرية وأقامت فيها وما زالت تقيم .... فهي مصرية الوطن ، مصرية الشعور ، ولكنها فرنسية اللغة فرنسية التصوير والتفكير ، وأمثالها في مصر غير قليلين ، منهم الرجال ومنهم النساء . وكلهم يتقن الفرنسية كل الإتقان، وكلهم يكتب فيها النثر الرائع أو ينظم فيها الشعر البديع ." [2]ويؤكد على إعجابه بالكتاب ويشجع مؤلفته فيقول:" أكتب لأهنئ الآنسة **جان أرقش** بكتابها الممتع البديع، و إن كنت لا أستطيع أن أعصم نفسي من الأسف ومن الأسف الشديد لأن كثرة المصريين لا يستطيعون أن يستمتعوا مثلي بقراءة هذا الكتاب وتذوق ما فيه من هذه الصور الفنية الرائعة حقاً ." [3]

---

[1] السابق ، ص٣٩٥

[2] ( المجموعة الكاملة " فصول فى الأدب والنقد " ) ، ص٤٠٠

[3] السابق ، ص٤٠٢

ثم يتكلم أيضا عن كتاب " تاج البنفسج " للسيدة **جوزيه صيقلي** . ثم عن " سلمى وقريتها " للسيدة **مدام أمي خير**"ولا ينسى أن ينبه إلى هذه الظاهرة التى وجدها جديرة بالملاحظة والتعليق ألا وهى مشاركة أهل الشرق لأهل الغرب فى إنتاجهم الأدبي وبنفس اللغة وبنفس المستوى ،بل وتصل إلينا كتب هؤلاء من نفس الطريق الذى يصل منه كتب أهل الغرب أنفسهم . : " تلاحظ في هذه الأيام أن من أهل الشرق من يتمثلون الغرب حتي كأنهم من أهله، فيتحدثون إليه بلغته ويفكرون كما يفكر ، ويشعرون كما يشعر، ويشاركونه بهذا في إنتاجه الأدبي الخالص، ويصدرون كتبهم حيث يصدر الغرب نفسه كتبه في لندره أو باريس، وإذاً هذه الكتب تصل إلينا من عواصم الغرب فنتلقاها كما كنا نتلقى الكتب الغربية من قبل ، وتتناولها صحفنا بما نتناول به كتب الغرب من نقد وتقريظ . وتري بعض أهل الشرق يتمثلون الغرب ويسيغونه ويهضمونه إن صح هذا التعبير . ويذيبونه في أنفسهم ويغلبون شخصيتهم عليه ويغذون قوميتهم به ،ثم يتحدثون إلينا بلغتنا مهذبة ، ويفكرون معنا بطرائق تفكيرنا مصفاة. قد أضيفت إلي ثروتنا ثروة أخري ، فأخصبت وآتت ثمرة تحبه وتستعذبه ونستزيد منه فنلح في الاستزادة . " [١]

أما ما ذكره **طه حسين** تحت عنوان " قصة المجمع اللغوي الفرنسي " فكان مناسبتها مرور ثلاثمائة عام على إنشائه . فيذكر قصته التى تتلخص فى أن **الكردينال ريشوليو** وزير فرنسا العظيم قد جد في إنشاء المجمع اللغوي الفرنسي في القرن السابع عشر (١٦٣٥م) ووضع قصة إنشائه الكاتب الفرنسي **إيميل ماني** وعنون قصته " مولد الأكاديمي الفرنسي " . وليس كل الفرنسيين يحبون مجمعهم ويعجبون به ، بل كثير منهم ومن خيارهم يسخرون من المجمع اللغوي ويغضون من قدره ما وسعهم ذلك ، وما وجدوا إليه من سبيل .ومن هؤلاء الساخطين الساخرين من يغلوا في السخط والسخرية ما أتاح له الشباب ذلك وحتى وصل إلى الشيخوخة .

[١] ( المجموعة الكاملة " فصول فى الأدب والنقد " ) ، ص٤١٥، ٤١٦

ومن هؤلاء **ألفونس دونيه** وله قصة رائعة سماها " الخالد " ومفادها أنه كان هناك رجل من أوساط الناس متصل بعظيم من عظماء فرنسا ويعمل في إدارة أمواله وأملاكه ، كان هذا العظيم هو **الكاردينال ريشوليو**. وعَلِم ذلك الرجل أن هناك تسعة من الأدباء أَلَّفت بينهم المودة الخالصة والحب الصادق للأدب . يلتقون من حين إلى حين في بيت واحد منهم يتحدثون في الأدب والشعر ، وفي الفلسفة والحكمة. فاندس ذلك الرجل بينهم خوفاً أن يكونوا جماعة من الخارجين على القانون . فأحب أن يحول هذا المجمع إلى شئ رسمي تعترف به الدولة . فخافوا على أدبهم من عبث السياسة وكيد السلطان . ولكنهم قد نزلوا عن حريتهم منذ قبلوا عطف السلطان . ولكنهم لم يكونوا مخيرين في الإذعان أو أن يخالفوا عن أمر الوزير . وإنما كانوا مخيرين بين الطاعة المطلقة والمحنة المطلقة ؛ فآثروا الطاعة على المحنة ووضعوا قانونهم وضخموا عددهم كما أراد **ريشوليو** لا كما أرادوا . [1]

ومن ذلك الوقت أصبح المجمع اللغوي أداة سياسية لطغيان هذا الطاغية . ومن هنا سخط عليه الشعب وعد أصحابه من الخونة وسخط عليه البرلمان . ورفض البرلمان تسجيل الأمر الملكي . إلا أنه فى نهاية الأمر قبل الاعتراف بهذه الجماعة . و زهد فيه **الكردينال ريشوليو** . وقد بدا له ذات يوم أن يختار خمسة من الشعراء من بينهم **كورني** ومن بينهم **دبواروبير** ، وأن يقترح عليهم موضوعاً ينشئون فيه قصة تمثيلية وأن يرسم لها خطة . وشغله ذلك عن مجمعه اللغوي . وكان **الكردينال ريشوليو** يقرض الشعر ويحب التمثيل وهيأت القصة ومثلت وأنفق عليها مال كثير ولكن القصة أخفقت شر إخفاق فغادر **كورني** باريس إلى " نورماندیا " وعكف على فنه وأخرج مسرحية " **السيد** " التي نجحت نجاحا باهرا . وكان **الكردينال** يريد معاقبة كورني على نجاحه . ولكن ماذا يصنع والجمهور معجب بقصته والقصر معجب أيضاً وشهد الملكة مرتين !

[1] ( المجموعة الكاملة " فصول فى الأدب والنقد " ) مج ٥ ، ص ٥١٦

وشهدها **الكردينال** في قصره فأعجب بها وأجاز **كورني** بجائزة عظيمة ، وأوحى إلى ناقد أن ينقد فكان هناك من شجع ورفع قدرها وهناك من جعلها دون الفن . واقترح **الكردينال** أن يرفع أمرها إلى المجمع اللغوي ليحسم الخلاف في نقدها بين المؤيدين و المعارضين . فقضى المجمع كما تريد السياسة وكما يريد **الكردينال** لا كما يريد الأدب والفن . و كان أن القصة لم تمت والمجمع لم يمت ولكن الذي مات موتا ليس بعده نشور هو **الكردينال** وطغيان السياسة . [١]

ويعلق **حلمى بدير** على ذلك فيقول : " يتحدث **طه حسين** عن " مجمع اللغة الفرنسية " الذي مر عليه ثلاثمائة عام منذ إنشائه حتى تاريخ كتابة المقال ١٩٣٥ومن الغريب أنه يكتب فى هذا التاريخ ١٩٣٥ صورة عن المجمع اللغوي فى فرنسا وما يلاقيه من سخرية أحيانا بأعضائه ، أو لجانه ، أو دوره ، ومن اتهام بالجمود أحيانا أو الرجعية ، وهو ما نجده اليوم فى اتهام مجمعنا اللغوي وهو الاتهام النابع من عدم قدرة على استيعاب أهمية دوره وخطورته في الحفاظ على ثقافة ولغة وتراث الأمة . " [٢]

ثم يكتب عن **بول ڤاليري paul valéry** (١٧٨١– ١٩٩٤) بعد أن عرفه عن بُعد ثم عن قُرب في مونبلييه .. بعد أن أصدر ديوانه الأول على مشارف الخمسين . ومن خلال تتبع دقيق لحياته ولقاءات معه في محاضراته وندواته بعد أن أصبح أديب فرنسا الكبير.

ولد **بول ڤاليري** سنة ١٨٧١ م فى مدينة ست ونشأ فيها و بدأ فيها درسه حتى إذا بلغ الرابعة عشرة انتقل إلى مونبلييه ليتم فيها درسه الثانوي وكان أثناء هذا الدرس مزدريا لنظام الدراسة معرضاً عن درس المعلمين ناقداً لأساتذته ساخراً مما يقولون

[١] ( المجموعة الكاملة " فصول فى الأدب والنقد " )السابق ٥، ص ٥٢٠

[٢] حلمى بدير "مؤثرات وافدة فى نقد الأدب عند طه حسين " ، ص٢٠

مؤثراً الاعتماد على نفسه فى تحصيل ما يحتاج إليه أو ما يميل إليه من العلم ..... وهكذا ثم يعرض لمؤلفاته وأدبه وحياته الاجتماعية وفلسفته حتى يصل إلى وفاته .[1]

تمكن من اللغتين اللاتينية واليونانية . و نشر ديوانه الأول ١٩١٧ م . وشغل كرسي " **أناتول فرانس** " في المجمع اللغوي الفرنسي ١٩٢٧. أنشأت عصبة الأمم مجلس التعاون الفكري الذي أنشأ مجلس الفنون والآداب وترأس هذه اللجنة **بول فاليري** ثم أُنشئ معهد البحر المتوسط في " نيس " فأصبح **فاليري** رئيساً له ثم أنشئ في الكوليج دي فرانس كرسي للشعر و أصبح **ڤاليري** صاحب

هذا الكرسي و قد عُين أستاذاً بعد أن نيف على الستين.وهو من طبقة **ديكارت – ليونارد دافنشي – ستندال – مونتسكيو – لاڤونتين** .

ويقول **طه حسين** : " كان **بول ڤاليري** نفسه هو الصورة الكاملة للفيلسوف الشاعر. ومن أجل ذلك لم يخطئ معاصروه حين سموه شاعر العقل.ولم أبعد أنا حين سميته عقل الشعر." [2]

يقول **ڤاليري** " إن الفلسفة والشعر إنما يصدران فى حقيقة الأمر عن ملكة واحدة فى أصلها ... فالفيلسوف شاعر يعرض شعره نثرا فى أكثر الأحيان والشاعر فيلسوف يعرض فلسفته شعرا دائما. "[3]

فى حديثه عن **بول ڤاليري** لا ينسى " المقبرة البحرية " التى شغلت الأدباء كثيرا فى المعنى الذى أراده **ڤاليري** منها خاصة أنه لا يتم أثرا من آثاره الفنية . وإنما يتركه ليكمله القارئ من خياله . ويفسر لنا ذلك ما كان أصحاب الفن في العصور القديمة الذين لم يكونوا يتمون أثرا من آثارهم ، إنما كانوا ينقحونه ويهذبونه وينقصون

---

[1] ( المجموعة الكاملة " ألوان" ) مج ٦ ، ص ٤٣٣ : ٤٤٦

[2] ( المجموعة الكاملة " ألوان" ) ، ص٤٣٧

[3] السابق ، ص٤٤٠

منه ويزيدون فيه ويلائمون بين أجزائه ويبتغون الكمال ما وجدوا في ابتغائه سبيلا . حتى إذا أُكرهوا على تركه سلموه إلى النار أو سلموه إلى الجمهور .

نشرت قصيدة " المقبرة البحرية " دون **علم ڤاليري** فسلم بذلك . غير أنه من العسير جدا أن تظفر في التاريخ الأدبي الفرنسي بقصيدة كثر حولها الحوار واشتد فيها الجدل وتشعبت فيها الخصومة كهذه القصيدة التي لا تزيد على أربعة و أربعين و مائة بيت . فقد انفق النقاد الفرنسيون أعواما يدرسونها و يحللونها و يلتمسون معانيها و أغراضها و مظاهر الحسن فيها ثم لا يتفقون على ذلك بل لا يتفقون على شيء من ذلك فيرفع بعضهم القصيدة إلى أرقى منازل الآيات الشعرية الخالدة ، و بعضهم ينزل بها إلى حضيض السخف الذي لا ينبغي الوقوف عنده و لا الالتفات إليه .

و يتخذها مسيو **جوستاف كوهين** موضوعاً لدرسه في تفسير النصوص ، و موضوعاً لكتاب سماه " محاولة لتفسير المقبرة البحرية " و يقدم للكتاب **بول ڤاليري**. إلا أنه لا يكشف النقاب عما أراد من القصيدة . و تترجم إلى لغات كثيرة ويُشغل الناس بها أعوام ١٩٢٧ ١٩٢٨، ١٩٢٩ م [١] فكان لابد أن يعرف طه حسين بها وبمؤلفها وبما لها من قيمة أدبية .

ويختم مقالة قائلا : "فحسبي أن أعلل النفس بأني إن زرت فرنسا فسأسعى إلى قبر **بول ڤاليري** فى تلك المقبرة البحرية التى رآها صبيا وغناها رجلا وأطمأن فيها إلى آخر الدهر." [٢]

ويطوف بنا فى ألوان بين آداب مختلفة وجنسيات مختلفة وأجناس أدبية مختلفة. وتحت عنوان " الساحرة المسحورة " يتحدث عن الأديبة الفرنسية **مدموازيل دى لسبيناس** (١٧٣٢ : ١٧٧٦) وسيرتها وفنها وبيئتها الأدبية وما يتبعها من شرح

[١] ( المجموعة الكاملة " ألوان" ) مج ٦ ، ص٤٤٤

[٢] السابق ، ص٤٤٦

الحياة الاجتماعية الفرنسية وما يحدث فيها من آثام وما يتبعها من آثار ظهرت من خلال حياة **مدموازيل دى لسبيناس** التى جاءت من علاقة غير شرعية نتج عنها طفلين: هما **لسبيناس** وأخوها . وتعقد الأمر عندما تزوج أبوها أختها من أمها . وذاد الأمر تعقيدا عند موت أمها ومعيشتها مع أبيها وأختها التى أصبحت زوجة أبيها . وأبناء أختها التى أصبحت لهم شبه خادمة وخالة . ثم ضيقهم بها وانتقالها إلى الدير ثم إلى بيت عمتها وبداية حياتها الفنية الشيقة واختلاطها بالصالونات الأدبية وتعرفها على **د.المبير D,Alembert**

الفيلسوف والأديب والرياضي(ولد ١٧١٧) فى ظروف تشبه ظروف حياتها . فهو مثلها جاء من علاقة غير شرعية وإن كانت الفتاة تحظى بعطف أمها فإن **المبير** فقد هذا العطف فقداً تاماً .

**فطه حسين** يعرف القارئ العربي على الأدب الفرنسي منذ القرن الثامن عشر حتى يصل الحديث عن العصر والبيئة التى ولدت **مدموازيل دى لسبيناس** الذى يتناولها باعتبارها مظهرا من مظاهر هذا الانحلال وأثر من آثاره فى وقت واحد."[١]

يقول **طه حسين** : " قَرِّر هذا كله وحدثني أيهما أبرع فى التصور ، وأقدر على الابتكار وأمهر فى ابتداع المأساة : خيال الكتاب والشعراء أم خيال الحوادث والظروف ؟ " [٢]

وبعد أن عرض لحياتها و سيرتها الذاتية حتى يصل الى وفاتها .. وقد ماتت **مدموازيل دى لسبيناس** ومضى على موتها أعوام وأعوام ومات **الكونت دى جيبير** أيضا ثم عرف الناس فى أول القرن التاسع عشر، وعرف من بقى من أصدقائها أمر ذلك الحب حيث نُشرت رسائلها إلى **الكونت دى جيبير** .

---

[١] ( المجموعة الكاملة " ألوان" ) مج ٦ ، ص ٥٠٤

[٢] السابق ، ص ٥٠٣

يقول فى آخر المقال : " وكم كنت أحب أن أتحدث عن هذه الرسائل ولكنى لم اكتب هذا الفصل إلا لأغرى القراء بقراءتها فى أصلها الفرنسي وبترجمتها إلى اللغة العربية فما أعرف أن أدبا من الآداب الحية أو القديمة قد صور الحب والندم والألم والغيرة كما صورتها **مدموازيل دى لسبيناس** ." [١]

تحت عنوان " الأمل اليائس " يعرض لـ " **مارى دى فيش شمبرند** " والتى يعرفها تاريخ الآداب الفرنسية باسم **مدام دى ديفاند** . فيقول : " ولدت فى آخر القرن السابع عشر سنة ١٦٩٧ وماتت آخر القرن الثامن عشر سنة ١٧٨٠ وجمعت لنفسها من مزايا هذين العصرين ما جعلها أبرع الناس أدباً وأوسع الناس أملاً و أقتم الناس يأساً وأظهر الناس فرحاً وأعمق الناس حزناً . " [٢]

أحبت إنجليزيا وهى فى السبعين من عمرها ،بعد عشرين عاما من العمى ، هو **هوارس ولبول Horace walpole** وكانت نتيجة هذا الحب هو أربعة مجلدات نشرت بعد موتها وفيها ثمانمائة من الرسائل التى اتصلت بينهما وهى كما يصفها **طه حسين** : " آيات من آيات الأدب الفرنسي لا أكثر ولا أقل ... و فيها تصوير لهذه العواطف النادرة الشاذة التى لم يألفها الناس والتي تملأ قلوبهم مع ذلك رحمة وبراً. و أسفاً وعطفاً . ما رأيك فى هذه الضريرة التى نيفت على السبعين والتي تكتب لصاحبها رسائل حب وغرام كرسائل الفتيات اللاتى لم يتجاوزن العشرين . . . ولكن لهذه المرأة صوراً أخرى عظيمة الخطر جدا فى حياة الأدب الفرنسي فقد كانت ناقدة ولها فى أدباء فرنسا وفى كبار أدبائها خاصة أراء قيمة تثير الإعجاب لرقتها ولبراعة الصيغ التى كانت تعلق فيها .. كانت تؤثر **فولتير** وكانت تضيق **بروسو** فانظر إلى هذه الجملة البديعة التى تنقد فيها أسلوب **جان جاك** " إن **لروسو** حظاً من الوضوح ولكنه وضوح البرق وله حظ من الحرارة ولكنها حرارة الحمى " ويختم قائلا : " وبعد

---

[١] نفسه ، ص٥١٩

[٢] ( المجموعة الكاملة " ألوان " ) ، ص ٥٢٠

فلعل أحسن ما كتب عن المرأة إلى الآن فصلان كتبهما **سانت بوف** فى أحاديث الاثنين تستطيع أن تقرأ أحدهما فى الجزء الأول وثانيهما فى الجزء الرابع عشر فان أردت الإيجاز المقنع فاقرأ الفصل الذى نشر عنها فى " مجلة العالمين " أول أغسطس فإن أبيت أن تتكلف القراءة أو تشق على نفسك بالبحث فقدر هذا الوصف الذى كان يصفها به **فولتير** أو فكر فيه فإنه يعطيكمنها صورة قوية تملأ نفسك رحمة وإعجابا فقد كان يسميها " الضريرة المبصرة ". [1]

ويتكلم **طه حسين** عن مؤسس الفلسفة الوضعية و واضع علم الاجتماع " الفيلسوف **أوغست كونت** " يتكلم عن الفلسفة ونشأتها عند اليونان ثم يقول: " أظنك قد عرفت هذا الفيلسوف فهو " **أوغست كونت** " مؤسس الفلسفة الوضعية وواضع علم الاجتماع وصاحب السلطان العظيم على العقل الفرنسي ثم الأوربي ثم الأميركي عصرا طويلا فى القرن التاسع عشر . و تلميذه هو **ستيوارت مل** وقد كان **كونت** يرى انه ليس هناك أمل ولا خير و إذ به يغير فلسفته فيقول إن المرأة عنصر أساسي فى الإصلاح الاجتماعي . سمى رسالته هذه " رسالة فلسفية فى التذكار الاجتماعى . وأظنك قد عرفت هذه المرأة التى زاحمت الفلسفة فى قلب **أوغست كونت** فكادت تغلبها عليه أو غلبتها عليه بالفعل ثم أصبحت إلهة الفيلسوف يعبدها كما يعبد النصارى المسيح وكما كان الوثنيون من اليونان يعبدون أثيناو أرتميس ... هذه المرأة هى " **كلوتلد دى ڤو** " وأظنك تطمئن الآن وقد سمعت هذين الاسمين إلى أنى لا أخترع ولا أتبع الخيال ولا أضع قصة ! وإنما أكتب فصلا من فصول التاريخ . " [2]

فعرَّف القارئ على مؤسس الفلسفة الوضعية و واضع علم الاجتماع الفيلسوف **أوغست كونت** و رسالة الفلسفية فى التذكار الاجتماعي و محبوبته **كلوتلد دى ڤو** و تلميذه **ستيوارت مل** .

---

[1] السابق ، ص ٦٢٩

[2] ( المجموعة الكاملة " ألوان" ) ، ص٥٣١

وينتقل بنا **طه حسين** إلى فيلسوف آخر هو **ألبير كامو** الذى ينتمى إلى المذهب العبثي الفلسفي وله " أسطورة سيزيف " و" الغريب " و" كاليجولا " و" سوء تفاهم " . [١]

ويقول **طه حسين:** " ويجب أن أقول إن العنوان الذى اتخذتُه لهذا الحديث ليس هو العنوان الدقيق لهذا الكتاب فعنوان الكتاب هو الطاعون وقد كرهت أن أجعل هذا اللفظ البشع عنوانا لهذا الحديث ." [٢]

ويعرض **البير كامو** " الطاعون " فى مدينة بعينها هى مدينة " وهران " بالجزائر. وهى قصة رمزية . فمدينة وهران هى فرنسا والطاعون هو الحرب والحصار والأطباء هم قادة المقاومة وزعماء الجهاد . أو مدينة وهران هى الأرض كلها والطاعون هو فى حقيقة الأمر الشر الذي يلم بالناس فى جميع المواطن والعصور و أطباء وهران ومتطوعوها هم المفكرون والمصلحون والفلاسفة . [٣]

ويعرج بنا **العميد** على فيلسوف متشائم . هو **فرانز كافكا franz kafka** الذى ولد فى مدينة براج أواخر ق ١٩ عام ١٨٨٣ و مات سنة ١٩٢٤. يقول عنه **طه حسين :** " مر على العالم مرا سريعا فلم يعش فيه إلا أربعين عاما أنفق جزءاً غير قليل منها فى الطفولة والصبا متأثرا بما حوله غير مؤثر فيه." [٤]

وقد أثرت فيه محنٌ ثلاث (الأبوة – الدين – الزواج ) أولها فى صلته بأبيه فقد أنكر سيرة أبيه فى الدين ثم تنشأ محنته فى الصلة بينه وبين أسرته ثم تنشأ محنة ثالثة ليست اقل منها قسوة ولا تعقيدا وهى المحنة التى تمس حقه فى أن يحيا حياة

---

[١] السابق ، ص ٧٤٨

[٢] نفسه ، ص ٧٤٩

[٣] ( المجموعة الكاملة " ألوان" ) ، ص ٧٥٥

[٤] السابق ، ص ٦٣٣

الآباء فيتخذ الزوج ويمنح الوجود للولد ..... هو يؤمن بهذا كله ولكنه فى الوقت نفسه يقف من هذه القضية موقفا يشبه موقف **أبى العلاء** فى البيت المشهور :

هذا جناه أبى علىَّ وما جنيت على أحد

ثم يتكلم عن سيرته الذاتية وأسفاره فى البلاد وأدبه وغموضه يقول **طه حسين** : " والغموض فى أدب **فرانز كافكا** من نوع خاص . فالرجل المثقف حين يقرأ هذا الأثر أو ذاك من آثاره لا يشعر بالغموض لأول وهلة وإنما يُخيل إليه انه يقرأ شيئا يسيرا سائغا قريب الفهم لا يتكلف فى تذوقه جهدا ولا عناء ولكنه لا يلبث أن يحس شيئا من الغرابة فى هذا الذي يقرأ لأنه يرى أشياء مسرفة فى البساطة مألوفة أشد الإلف ليس من شانها أن ترتفع إلى حيث تكون أدبا ينتجه الفن الرفيع وإنما هى من هذه الأشياء التى يراها الإنسان فى كل يوم وفى كل مكان وفى الطبقات الساذجة العادية من الناس فيسال القارئ نفسه أو قل يقنع القارئ نفسه بأن الكاتب لم يرد إلى هذه البسائط وإنما اتخذها وسائل قريبة لغايات بعيدة وهنا يدفع القارئ إلى التماس هذه الغايات فيذهب فى التماسها كل مذهب ويسلك فى استكشافها كل سبيل ..... وكذلك تستطيع أن تقول إن قارئ **فرانز كافكا** معلق دائما يُخيل إليه أنه يفهم ما يقرأ وهو يفهم معانيه القريبة من غير شك ولكنه يشعر شعورا قويا بان هذا الذى يفهمه ليس هو الذى قصد الكاتب إليه ... وأغرب من ذلك أنك حين تفرغ من القراءة لا تنتهى إلى ما يحسن الاطمئنان إليه وإنما أنت معلق بعد الفراغ من القراءة كما كنت معلقا فى أولها وفى وسطها ذلك لان الكاتب لا يتم قصته وإنما يقتضبها اقتضابا و ينتهى بها إلى شئ لا يصلح أن يكون غاية لقصة أو كتاب ." [1]

ثم يعرض **طه حسين** لثلاث قصص **لكافكا** هى " القضية " و " القصر " و " أمريكا " ويشبهه بأبى العلاء فيقول : " هذه هى المشكلات الكبرى التى فرضت علي

[1] ( المجموعة الكاملة " ألوان " ) مج ٦ ، ٦٤٠ ، ٦٤١

**فرانز كافكا** منذ امتحن فى إيمانه فجحد دين آبائه ولم يستطع أن يهتدى إلى دين غيره يرد إليه هذا الإيمان وهى فيما أعتقد نفس المشكلة التى فرضت على **أبى العلاء** لا فرق بين الرجلين إلا هذه القرون العشرة التى أتاحت للمعاصرين ضروبا من العلم وفنونا من الفلسفة وألوانا من الحرية لم تتح لشيخ المعرة ومع ذلك فقراءة اللزوميات وقراءة الفصول والغايات فى تعمق واستقصاء تنتهى بك إلى نفس الموقف الذى تنتهي بك إليه قراءة " القضية – القصر – أمريكا . " [١]

وصف أدب **أبى العلاء و كافكا** أنه أدب قاتم حالك يفل العزائم ويثبط الهمم ويصد الإنسان عن العمل ويرده عن الأمل ويدفعه إلى نشاط عقلي عقيم ولا يحفز الناس إلى طمع أو طموح . . . ومن أجل ذلك حرقت كتب **كافكا** فى برلين أثناء حكم هتلر وكان اليساريون فى فرنسا يبغضون هذه الكتب اشد البغض ويتمنون لو حيل بينها وبين الشباب ويقولون : " يجب أن يحرق **فرانز كافكا** . " [٢]

وتحت عنوان " في الأدب الأمريكي " ( ٦٨٢ : ٧٠٤ ) تحدث عن **ريتشارد رايت** الذى كتب ( غلام أسود – ابن البلد – أبناء العم توم ) وتكلم عنه فعرف به وبأدبه وبيئته وتكلم عن نشأته وبؤسه وتعليمه وعرض لقصة الغلام الأسود . يقول: " وقد عرفت أثناء هذه القراءة القصيرة كاتبا أميركيا أسودا . كنت قد سمعت به فى باريس فى العام الماضي دون أن أقرأ له شيئا. ثم قرأت له بعد عودتى إلى القاهرة فى مجلة " العصور الحديثة " التى يصدرها **جان بول سارتر** قصة قصيرة رضيت عنها كل الرضا ثم أُتيح لى أثناء هذا الصيف أن أقرأ له كتابين كثر عنهما الحديث فى فرنسا نشر أحدهما متفرقا فى مجلة العصور الحديثة وعنوانه " غلام أسود **black boy** " ونشر الآخر جملة وعنوانه " ابن البلد **native son** " وله كتاب ثالث قد

---

[١] السابق ، ص ٦٤٨

[٢] ( المجموعة الكاملة " ألوان " )، ص٦٥١

نشر فى فرنسا ولم أقرأه بعد و أرجو أن تتاح لى قراءته قبل أن أعود وعنوانه " أبناء العم توم ." [1]ثم يتناول الحديث عن هذين الكتابين اللذين أشار إليهما.

وتحت عنوان " الحرية والفن " يقدم لنا الشاعر الفرنسي **بودلير Baudelaire**. ويتحدث عن ديوانه (أزهار الشر **Les fleurs des mal**) الذي وقف من أجله الشاعر للقضاء، ويقول: "لقد أثارت حياة **بودلير** مسألة من أدق المسائل التي سيظل الخلاف قائمًا فيها أبدًا بين الفرد والجماعة، فهذه المسألة هي مسألة الحرية والفن. و يعرض فيه لنشأته وحياته .

يقول **طه حسين** : " نشأ هذا الشاعر في أسرة متوسطة ، كان أبوه معلما فى إحدى المدارس الثانوية في باريس حين ولد سنة ١٨٢١.ومات عنه أبوه ولم يتجاوز السادسة من عمره ، وترك ثروة ليست بذات خطر. وقد تزوجت أمه من ضابط في الجيش ظل يرتقى حتى انتهى إلى أعلى المراتب العسكرية . " [2]

ويناقش قضايا نقدية من خلال عرضه لكتاب " ما الأدب **لجان بول سارتر jean paul Sartre** صاحب كتاب " الكون والعدم " يقول عنه **طه حسين** : " وقد استأنف الحديث فى هذه القضية فى مجلته " العصور الحديث **Les temps moderne**" منذ أشهر فبدأ فى نشر دراسة مفصلة عنوانها " ما الأدب ؟ " وموضوعها الدقيق هو التزام الأديب حين يكتب واحتماله تبعة ما يكتب و وجوب أن يكون متصلا حين يكتب بما يحيط به من واقع الحياة ."[3]

وقد قسم الكاتب دراسته ثلاثة أقسام الأول عنوانه ماذا نكتب ؟ والثاني عنوانه لماذا نكتب ؟ والثالث عنوانه كيف نكتب ؟

---

[1] السابق ، ص ٦٨٤

[2] ( المجموعة الكاملة " من أدبنا المعاصر " ) مج ١٢ ، ص٤٠٢ : ٤٠٣

[3] السابق ، ص٦٥٤.

ويتناول **جان بول سارتر** فى مقال بعنوان **جان بول سارتر** والسينما ويعرض أيضا لقصصه " طريق الحرية " ، و" الأنوف المستعارة " ،و" وراء السور " ، و" لقد تمت اللعبة ".

يعرض **ساتر** فى القصة الأولى " طريق الحرية " مغزاً سياسياً واجتماعياً وخلقياً ، وفى القصة الثانية " **الأنوف المستعارة** " وفيها عرض شيق يغرى بالبحث عنها وقراءتها . و يذيع فيها عن طريق الفكاهة آراءاً فلسفية ليست أقل خطراً من الآراء التى أذاعها فى طريق الحرية عن طريق الجد .

ويعرض لقصة **ثالثة** عنوانها " **huis clos** " يقول **طه حسين** عنها:" أستطيع أن أسميها " وراء السور " . والقصة تعرض أمر نفر من الناس وقعوا بعد الموت إلى الجحيم . وضرب دونهم بسور ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب . إلا أن جحيمهم حجرة مغلقة ، يقيمون فيها إقامة أبدية . يذكر كل منهم للأخر ما قدم من أعمال منكرة ، وما اقترف من آثام استحق عليها العقاب .ثم يستبين لكل واحد منهم أنه لا يستطيع أن يعاشر رفاقه راضيا عن عشرتهم ، ولا يستطيع أن يفلت من هذه المعاشرة . وأعمال كل فرد تعرض عليه وكلها تمر أمامه من وراء الأسوار فيتحدث عنها فيؤذيه حديثه ويؤذى رفاقه. كما يؤذيه ما يحاول من الفراغ لنفسه والانصراف إليها عمن حوله من الناس. فكل واحد منهم إذن يحمل جحيمه فى نفسه ، وعذابه مستقر فى ضميره ."[١]

كما يتحدث عن قصة أخرى **لجان بول سارتر** أُخرجت وعُرضت بالفعل فعنوانها الفرنسي" **les jenx sont faits** ويقول **طه حسين** : " تستطيع أن تترجم هذا العنوان بهذه الكلمة العربية " لقد تمت اللعبة " كما نستطيع أن نترجمها بكلمة واحدة وهى " هيهات " ... فإذا قلت تمت اللعبة أو قلت هيهات أو قلت سبق السيف العذل

[١] ( المجموعة الكاملة " من أدبنا المعاصر " ) ، ص ٧١٢

أو قلت لا سبيل إلى استدراك ما فات فقد أديت المعنى الفلسفي الذي قصد إليه الكاتب حين أنشأ قصته ." [١]

وفى تقديمه لبعض الكتب التى ترجمها أحد الأدباء العرب [٢]، كان يعرض لمؤلف الكتاب والموضوع الذى تناوله فيعرِّف بالمؤلف ومكانته بين أدباء عصره و يعرض لمادة الكتاب وما تضمنته من موضوعات . ومثال تقديمه كتاب " آلام فرتر " للشاعر **جوتة** وقد ترجمه عن الفرنسية **أحمد حسن الزيات** . [٣]

ومما سبق نجده يطوف فى أرجاء الفكر البشرى والثقافة العالمية يقدم لنا كل ما من شأنه أن " يغنى القارئ العربى ويعرفه بالجديد فى عالم الأدب والثقافة . فكما ذكر **حلمى بدير** فى تعليقه تحت عنوان التعريف بالآداب الغربية : " يقدم في" ألوان " سياحة فكرية ممتعة في الأدب الفرنسي فيعرض للكاتب **جان بول سارتر jean paul Sartre** في مقالين" في الأدب الفرنسي " و" ملاحظات " ثم يكتب عن رواية **كامي albert camus** الشهيرة "الوباء **la peste** " (١٩٤٧) . . . وينتقل في ألوان إلى الأدب الأمريكي (**رايت** ) من ناحية ثم إلي **فرانز كافكا franz kafka** من ناحية ثانية ، ويفرد فصلا يجعله "حول رسائل سيسرون".. هذه انتقالة سريعة في موضوعات" ألوان" تبين طبيعة ومعالم أرجاء جهوده للتعريف بالآداب العالمية.[٤]

وقد أدت كتاباته عنهم وظيفتها الأولي في أنها نبهت المثقف العربي إلي هؤلاء الأعلام ،فإذا بالكتاب العرب بعد ذلك يولونهم كثيراً من عنايتهم ويترجمون كثيراً من أعمالهم الأدبية .

---

[١] السابق نفسه ، ص ٧٢٥

[٢] جوتة "آلام فرتر"**ت : أحمد حسن الزيات**،مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر،د. ت

[٣] ( المجموعة الكاملة " كتب و مؤلفون " ) مح ١٦، ص ١٤٥

[٤] ( المجموعة الكاملة " لحظات ج١" )مج ١١ ، ص١١٨

وكان يقوم بهذا العمل عن قصد وبهدف قد أعد له . إيماناً منه بأن ذلك إثراء للأدب العربي فقد كان يقول:" وكنت _ ولا أزال _ شديد الإيمان بأن الأدب الحي لا يستطيع العزلة، وإنما هو مضطر إلى أن يتصل بالآداب الحية الأخرى ، وسبيله إلى ذلك النقل والترجمة والتلخيص والتعريف بالأدباء من الأجانب ."[١] .

[١] حلمى بدير "مؤثرات وافدة فى نقد الأدب عند طه حسين " ، ص٢٦

## قائمة المصادر والمراجع

**أولا :المصادر:**

- **طه حسين**

١- **المجموعة الكاملة** ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٢.

**ثانيا: المراجع :**

- **حلمي بدير**

١- ١٧- **مؤثرات وافدة فى نقد الأدب عند طه حسين** ، دار الثقافة للطباعة والنشر، ط ١ ، ١٩٨٥..